

قراءة مفاهيمية في بعض المصطلحات السردية المترجمة
(السرد - علم السرد - السردية - السرديات)

Conceptual reading of some translated narrative terminology
(Narrative - narratology - Narration- narrativity)

جمال بن جديد^{1*} Djamel BENDJIDID، صباح لخضاري² Sabah LAKHDARI
المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة - الجزائر، bendjiddjamel@gmail.com
المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة - الجزائر، s.hamidou@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/06/08 تاريخ المراجعة: 2020/06/17 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص باللغة العربية:

يمثل المصطلح مفتاح أي مبحث علمي، وإذا وجدت السرديات سبيلها في ميدان النقد الأدبي الحديث بصفة عامة، وفي مجال تحليل النصوص السردية بصفة خاصة، في مضمير الدراسات النقدية العربية المعاصرة، فإن مصطلحاتها المترجمة لازالت محلّ جدال بين الدارسين العرب وبين أصحاب الاختصاص، نظرا لما تشهده من تعددية اصطلاحية ومن فوضى مفهومية.

وانطلاقا من هذا، يهدف هذا البحث إلى اتخاذ قضية المصطلح السردى المترجم موضوعا مركزيا، حيث يقدم تحليلا للمفاهيم السردية المتنازع عليها، ثم يعرج على ظاهرة اختلاف المصطلحات السردية في البيئتين الغربية والعربية.

إن ترجمة المصطلحات النقدية وخاصة المصطلحات السردية منها، وتغريبها في بيئة عربية غير بيئتها، يجعل منها لغما عنقوديا خطيرا لا تنمحي ندوبه بسهولة إذا ما أسيء استخدامها، في ظلّ تعدّد المقابلات العربية للمصطلح الواحد والترجمة العشوائية، والاجتهادات الفردية وغير المتخصصة التي تعرفها عملية ترجمة المصطلحات.

فما هي أهم الإشكالات التي تعرفها المصطلحات السردية المترجمة؟ وما هي أهم المصطلحات التي عرفت التعددية المصطلحية والاشترارک المفاهيمي؟ وما هي الحلول المقترحة التي وجب على النقاد وعلى المترجمين اتباعها، لحماية المصطلحات الوافدة من ثقافات مغايرة؟ وبالتالي حماية الناقد والقارئ كليهما من الزيف والانحراف.

*المؤلف المرسل: جمال بن جديد، bendjiddjamel@gmail.com

كلمات مفتاحية: ترجمة؛ قراءة؛ مفاهيم؛ سرد؛ تعدد مصطلحي.

Abstract:

The term represents the key to any scientific research, and if narratives find their way in the field of modern literary criticism in general, and in the field of analyzing narrative texts in particular, in the context of contemporary Arab critical studies, their translated terms are still a matter of debate between Arab scholars and specialists, given for its idiomatic pluralism and conceptual chaos.

Proceeding from this, this research aims to take the issue of the translated narrative term as a central topic, as it provides an analysis of the contested narrative concepts, and then examines the phenomenon of different narrative terms in the western and Arab environments.

The translation of critical terms, especially narrative terms from them, and their alienation in an Arab environment other than their environment, makes them a dangerous cluster mine whose scars are not easily erased if they are misused, in light of the multiplicity of Arabic interviews for the single term and random translation, and individual and non-specialized jurisprudence that You know the terminology translation process.

What are the most important problems in the translated narrative terminology? What are the most important terms that defined terminological pluralism and conceptual involvement? What are the suggested solutions that critics and translators must follow to protect terminology from different cultures? Thus, both the critic and the reader are protected from aberration and perversion.

Keywords: Translation ; Reading ; Concepts ; Narration ; Terminology.

-1 مقدمة:

لقد أصبح إعمال النظريات النقدية الغربية الحديثة في الوسط النقدي العربي المعاصر، ضرورة حتمية وملحة، أملت لها ظروف معينة، وحساسيات جديدة حتمت على النقد أن يغير منطلقاته القديمة، ويتجاوز تلك النظرة السلفية الماضوية في قراءة الأعمال الأدبية وتحليلها. ولقد أثبتت الدراسات جدارة هذه النظريات النقدية وتفوقها في استنطاق النصوص الأدبية والكشف عن خباياها ومكوناتها وإضاءة الكثير من جوانبها الغامضة.

ولعل النظرية السردية، أو علم السرد، أو نظرية السرديات - كما يحلو للبعض أن يسميها - هي من أبرز النظريات المعاصرة، التي أثبتت جدارتها في الكشف عن خبايا النصوص الإبداعية، غير أن هذا العلم وكغيره من العلوم المعاصرة، يعيش حالة من الفوضى الاصطلاحية وحالة من الإسهال المصطلحي المزمّن، سواء في بيئته الأم أو في البيئة العربية المستقبلية، وذلك عائد إلى أسباب عديدة مثل: الاجتهادات الفردية والترجمة العشوائية... وغيرهما، ومن أبرز المصطلحات التي عرفت لبسا وخلطا في البيئتين الغربية والعربية: السرد، السرديات، السردية، علم السرد... وغيرها.

ولذا سعت هذه الورقة البحثية إلى عرض أهم المصطلحات التي تعرف لبسا في مجال السرديات وتوضيح ميادينها العام وكذا عرض أهم المفاهيم التي تخصّها، والجهود الغربية والعربية المساهمة في وضع مصطلحاتها وتعريفها، ولعلّ من أهم هذه المصطلحات: Narrative، Narration، narratology، narrativity، وقد وقع اختيارنا على هذه المصطلحات لما تحمله من أهمية في حقل السرديات محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف تناول الغرب المصطلحات التالية: Narrative، Narration، narratology، narrativity، بما يقابل (السرد، علم السرد، السرديات، السردية)؟، وكيف استقبل العرب هذه المصطلحات ومفاهيمها؟ وإلى أي مدى وُفقّ النقد العرب في التعامل مع هذه المصطلحات الوافدة؟

ولغرض إنجاز هذا البحث، فقد كان شغلنا الشاغل هو جمع أكبر عدد من المراجع ذات الصلة بالموضوع والتي اهتم أصحابها بالمصطلح السردى بالتحديد، وإجراء المقارنة فيما بينها بكل دقة نظرا لما يحمله المصطلح المترجم والوافد من البيئة الغربية من غموض ولبس بسبب تهجيده إلى بيئة مغايرة، كما انصبّ تركيزنا على اختيار المصطلحات وفقا لقوتها الاصطلاحية وقيمتها التداولية، ثم تصنيفها، فمعالجتها معالجة تأثيلية تتبّع تطورها الدلالي في هجرتها من مهدها اللغوي والمعرفي الأول، إلى البيئة النقدية العربية، مع الوقوف على التحولات البنيوية والدلالية التي تطرأ عليها في هجرتها من لغة إلى أخرى، وفي نزوحها من موقع نقدي إلى آخر داخل اللغة (العربية) الواحدة، ثم قمنا بالمفاضلة بين البدائل الاصطلاحية المترادفة أمام المفهوم الواحد.

والغاية التي ابتغاها البحث هي الكشف عن مدى النضج الذي بلغته الدراسات النقدية السردية عموما والعربية منها خصوصا، ومدى مواكبة الدراسات العربية للتطورات النقدية الغربية.

وقد توصلنا إلى تحديد أسباب هذه الظاهرة التي أصبحت تشكل انشغالا أساسيا في النقد الأدبي الحديث، مقترحين بعض الحلول التي نظّمها قد تحلّ بعضا من إشكاليات المصطلح السردي.

2- المصطلحات السردية ومفاهيمها عند الغرب:

يتحدد وجود المصطلح، في نظر بعض المصطلحيين، بأربعة عناصر هي: الميدان، والمصطلح كدال أو شكل، والتصور أو المفهوم، والتعريف، فالمصطلح يحيل إلى تصور يختمر في ذهن المتخصص، فينصرف إلى تقييده بتعريف يميل إلى الدقة والعلمية والمباشرة والإجمال، ويعكس انتماءه إلى ميدان بعينه. غير أن الأمر ليس بهذه البساطة في ما يتعلق بالمصطلح السردي على الأقل، فالميدان قد يتشعب إلى ميادين ثانوية، والتصور قد يتفرّع إلى تصورات جزئية كما قد يتناغم مع تصورات مصطلحات أخرى، فضلا عن أنه يتعارض مع تصورات تقاسمه الانتساب إلى الميدان ذاته. وهو ما يقتضي حضور التعريف ابتغاء رفع اللبس الذي يثيره التفرع والتناغم والتعارض (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 97). والتعريف حسب الناقد (محمد عزيز نظمي) هو: "جملة الصفات التي يتألف منها الشيء، وهو تعبير مفصل عن المعرف" (بوجملين، 2016، صفحة 139)، وتعريف المصطلح يرفع عنه الغموض ويبعد القارئ عن الخلط والزيغ. وإذا ما رُمنا تعريف السرد في المعاجم اللغوية الغربية والعربية، نجده كالتالي:

1.2. السرد Narration/ Narrative في اللغة وفي الاصطلاح:

لقد وردت المصطلحات السردية، التي هي قيد دراستنا هته، عند الغربيين بمفاهيم مختلفة من دارس إلى آخر، ومن اتجاه سردي إلى اتجاه آخر، ولكن قبل الولوج إلى تلك المفاهيم والاتجاهات الغربية، لا بأس أن نعرّج على المفهوم اللغوي للجدر (س ر د) في المعاجم اللغوية العربية:

أ- المفهوم اللغوي:

ترد كلمة (سرد) في المعاجم اللغوية العربية، في المفهوم الغالب في سياق معان تفيد التوالي والاتصال والانتظام، فقد جاء في لسان العرب: "أن سَرَدَ تفيد مقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متّسقا بعضه في أثر بعض، وسرد الحديث ونحوه بتحريك الحرف الأوسط: إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيّد السّياق له، وسرد فلان الصّوم إذا ولاه وتابعه... و ترد كلمة السرد بمعنى النّسج" (المكتبة الأدبية، بلا تاريخ). وهنا نجد صاحب "لسان العرب" يحصره في معنى: "التّتابع

والآتساق والموالاتة والقدرة على السبك والمهارة في النسج. وتعقيبا على هذا الاستخدام اللغوي لكلمة "السرد"، يشير محمد عبد المطلب إلى أن ما يلفتنا في تحديد ابن منظور للدلالة اللغوية لمفهوم السرد، أنه يحتوي على ركائز ثلاث انبنى عليها مفهوم السرد عموما، وهي: الاتساق، التتابع، جودة السياق" (بورايو وآخرون، 2018، الصفحات 23-24)

وأما في معاجم اللغة الفرنسية فالفعل Raconter أي Narrer، جاء منه مصطلح Narration الذي يدلّ على فعل القصّ Fait de raconter، بمعنى آخر: فعل إنتاج قصة fait de produire un récit. وفي هذا المعنى فالسرد يتقابل مع القصّة récit مثلما يتقابل مع التلقظ Enonciation، أي فعل إنتاج الكلام مع الملفوظ Enoncé في حين يحيلنا ((معجم أكسفورد)) على أنّ الأصل في اشتقاق مصطلح السرد Narration أو Narrative هو الفعل Narrate بمعنى يسرد. وقد كان مرتبطا بالكلام الشفاهي، ومعناه الأصلي التفسير والإخبار والتعليق على الأحداث، وترتبط أصوله بالقصص والأساطير الخرافية التي تدور حول البطولة" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 25).

ومن هذه الزاوية، تجاذبت مفهوم مصطلح "السرد"، طروحات متعدّدة ومتنوعة، سواء عند مؤسسي المصطلح الأوائل (الغربيين)، أو عند دارسيه. ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى تنوع مجالات اهتمام هؤلاء النقاد والباحثين أنفسهم، فما المقصود إذن بمصطلح "السرد" في الاصطلاح:

- 1- "الطريقة" أي فعل السرد ذاته المرتبط بالسارد؟
- 2- "النص" المسرود الملفوظ، بوصفه كيانا قوليا مستقلا؟
- 3- "الإخبار" المقابل للغرض؟
- 4- "الخطاب" الذي يستحضر عالما مكونا من أشخاص وأفعال وأزمنة وأمكنة؟
- 5- "الحكاية" المقابلة للحكي؟

ب- في المفهوم الاصطلاحي:

والسرد بمفهومه العام: هو جزء من نظرية ناشئة تطمح أن تكون علما قائما بذاته له مناهجه وأسس، لذلك أصبح هذا المصطلح بمفهومه الشامل يزاحم العلوم الأخرى، وأطلق على نفسه علم السرد Narratologie، كما أنه يُعرف أيضا بـ "السردانية" ومصطلح Narratologie متكون من الكلمة اللاتينية Narrate بمعنى يقصّ أو يحكي، و Logie التي تعني العلم،

وهذا العلم يُعنى باستخراج النُظم التي تحكم السرد والقواعد التي توجّه أبنيته وتحدد خصائصه وسماته (تودوروف، 1990، صفحة 23).

والسرد Narration/Narrating هو عملية إبداعية مستمرة وموجودة منذ الأزل، مارسها الإنسان في حياته اليومية، حيث عرفه جيرالد برنس بقوله: "إن السرد أو الحكى ظاهرة إنسانية تضرب جذورها في عمق التاريخ البشري ولا يخلو تراث أي لغة من ظواهر سردية نطلق عليها تسميات مختلفة فنسميها قصة أو رواية أو حكاية شعبية أو أسطورة أو مقامة أو غير ذلك مما قد لا يتأتى حصره بسبب عمق تاريخ السرد وتنوع أنماطه في الثقافات المختلفة" (برنس، 2003، صفحة 5).

فالسرد حسب برنس ظاهرة عامة كونية ومشاركة بين البشر، وتختلف أشكالها بين قصة ورواية وحكاية وغيرها، والسرد هو عمل مستمر ومتواصل ومتطور، ويتواجد في اللغة المكتوبة، كما يتواجد في اللغة الشفهية، ويتواجد في لغة الإشارات والإيماء، كما يتواجد في التاريخ والرسم والملحمة، وبعبارة أخرى هو يتواجد في كل ما يقرؤه الإنسان أو يسمعه أو يحكيه، وذلك ما عبر عنه رولان بارت في قوله: "ويمكن للقصة أن تعتمد على اللغة المفصلية، شفوية أو مكتوبة ويمكنها كذلك أن تعتمد على الصورة ثابتة أو متحركة، كما يمكنها أن تعتمد على الحركة، وعلى الاختلاط المنظم لكل هذه المواد، وإنما لحاضرة في الأسطورة والخرافة وحكاية الحيوان والحكاية والقصة القصيرة والملحمة والتاريخ والتراجيديا والمأساة والكوميديا والمسرح الإيمائي والصورة الملونة... وإن القصة لحاضرة بكل هذه الأشكال غير المتناهية تقريبا في كل الأزمنة، وفي كل المجتمعات وإنها لتبدأ مع التاريخ الإنساني نفسه" (بارت، 1993، الصفحات 25-26). وحسب الناقد الفرنسي رولان بارت السرد هو عبارة عن جنس من الأجناس الأدبية غير أنه جنس لا يخضع للقيود اللغوية ويمكن أن يكون مكتوبا أو شفويا أو محكيا أو ورقيا أو خرافيا، وهو يتسع ليشمل ما هو أدبي وما هو غير ذلك. "وما زال مصطلح السرد Narration - إلى يومنا هذا - بمفهومه الشاسع وأشكاله اللامتناهية -، يثير مزيدا من الانشغالات الكثيرة، بل إن التطور المفهومي المستمر لهذا المصطلح أصبح مثارا لاختلاف النقّاد والمنظرين، حيث تعددت اجتهاداتهم وتراكمت مواقفهم المتباينة على مدى القرنين الماضيين، بل إنه أصبح لكل ناقد غربي مسمياته السردية الخاصة التي تعبر عن منهجه وفكره" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 21). وما يثبت الاضطراب الاصطلاحي لمصطلح "السرد" في البيئة الغربية هو تعدد التعريفات فمثلا "معنى السرد في النقد الإنجلو-ساكسوني يعني الإخبار (Telling)

من غير حضور سارد في القصة، بينما نجد معناه عند الفرنسيين يعني النسيج والعرض (Showing)، أي أن القصة تترشح عن الخطاب الذي ينسجها، وهذا النسيج يتم عبر حضور السارد في القصة، وكذلك نجد اختلاف مصطلحي (السرد الذاتي) و(السرد الموضوعي) بين الفرنسيين والألمان، وكذلك مصطلح Narrating (فعل السرد) بين جيرالد برنس وجينيت وشاتمان وغيرهم (الخفاجي، 2012، صفحة 20).

ولعل أبرز الباحثين في مصطلح "السرد"، عالم السرد الفرنسي جيرار جينيت Gérard Genette، فقد تمثلت جهوده الكبيرة في إرسائه لمفهوم "السرد"، التي وثّقها في أعماله وكتاباته، لاسيما منها في كتابه «خطاب الحكاية» Discours du récit (1972)، الذي عكس جينيت من خلاله الطبيعة المفهومية للمصطلح، من زاوية أنها تشير إلى المادة المحكية بمكوناتها الداخلية من الحدث والشخوص والزمان والمكان من جهة، بل بشكل أدق، فإن هذا المصطلح - من ناحية أخرى - أصبح لازمة أساسية في ظهور علوم جديدة تعنى بالسرد كالقصة، والرواية، والشعر، والأسطورة بوصفها مرةً حكاية Récit وتارة تمثيلاً لمضمون حكاية، وفعلاً acte حيناً آخر" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 21).

وقد تناول جينيت هذا المصطلح في قسم ثالث من أقسام الخطاب القصصي، حيث عرفه بقوله: "السرد عملية تلفظية تخاطبية تبين لنا أن السرد وجه من وجوه عمل تواصلية بين الراوي والمروي له"، ويذكر جينيت أن السرد يندرج في نسيج من العلاقات الحميمة بين عناصر تدخل في ما يسميه مقاما سرديا وتمثل هذه العناصر في المتخاطبين وحدودهما المكانية والزمانية، فلا يتصور السرد إلا وهو موصول بهذه المكونات التي يتشكل منها وبها هذا المقام السردية" (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 244)، فما قدمه جينيت من اصطلاحات في حقل علم السرد أثر في استقرار الجهاز الاصطلاحي لعلم السرد (الخفاجي، 2012، صفحة 19).

ولعل ما يبرر هذا الطرح أنه منذ ظهور اجتهادات الشكلايين الروس النظرية، ودعوتهم إلى ضرورة ميلاد علم جديد يعني بـ "أدبية الأدب" أسموه "البويطيقا" الجديدة، وأعمال فلاديمير بروب Vladimir propp حول الحكاية العجيبة وصولاً إلى السرديات التي اقترحها تزيفيتان تودوروف Tzvetan Todorov وسيميوطيقا السرد، ونظريات لسانيات النص، وتحليل الخطاب مرورا باجتهادات الأنثروبولوجيين، مثل: كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss، وعلماء الأديان مثل: ميرتشا إلياد: Mircea Eliade وعلماء الأساطير مثل: روجي كايوا Roger Caillois، فإن الاشتغال

بمصطلح السرد، كبناء ومفهوم، حظي بمكانة متميزة، سواء تجلى ذلك من خلال الخطاب اليومي أو الصحفي، أو التاريخي، أو الأسطوري، أو الأدبي، وسواء ظهر على المستوى اللفظي أو الصوتي أو الحركي، مما دعا إلى التعدد في المقاربات في الرأي تارة، والاختلاف فيه تارة أخرى، ثم إن اتساع مساحة تداول هذا العلم، و تعزز حضوره في الأدب والنقد، ارتبط بشكل كبير بوجود القصة في كل زمان، فإن كان للسرد وجوده الدائم، فبعللة وجود القصة ذاتها، لأن القصة لا يمكنها أن تُوجد ما لم يُوجد ساردٌ يقوم بسردها. وقد تكون حقيقة السرد أفسح مجالاً من ذلك، بأن تصبح شيئاً مرتبطاً بالحياة والوجود معاً، فإن كون الحياة ذات صلة بالسرد أمر كان معروفاً دائماً (...). بل إن المسرودات في العالم حاضرة في أجناس كثيرة، في الأسطورة والخرافة وفي الحكاية، والكوميديا والتراجيديا وفي الرواية والسيرة والسينما أيضاً" (بورايو وآخرون، 2018، الصفحات 22-23).

وفي هذه البيئة الغربية التي ولد فيها البحث في قضايا السرد، اختلفت المفاهيم المتعلقة بماهية السرد في حد ذاته، بين من اعتبر السرد حكياً، وبين من اعتبره خطاباً، ومنهم من اعتبره قصاً، "فالسرد المقابل للمصطلح الفرنسي Narration يعني في البلاغة الغربية القديمة القسم القصصي من الخطاب، الذي تقدم فيه الحكاية على أنها مثل لما يخوض فيه المؤلف من مسائل عامة" (الخفاجي ، 2012، صفحة 266)، ويستعمل تودوروف Todorov 1969 مصطلح السرد Narration بمعنى الحكاية ويستعمله أيضاً علاوة على كونه العمل التواصلية الذي به وفيه ينقل المرسل رسالة ذات مضمون قصصي إلى مرسل إليه، رديفاً للكلام باعتباره وسيطاً يحمل الرسالة المذكورة. يعد تزفيتان تودوروف أشمل النقاد البنيويين وأكثرهم نظامية، فله الفضل في جمع نصوص الشكلايين الروس وترجمتها إلى الفرنسية عام 1965. وتتلخص جهوده في تحديد مفهوم السرد ووظيفته فالسرد عنده هو الطريقة التي تحكى بها القصة وهذا ما يؤكد في قوله: "إن المهم على مستوى عند مستوى السرد ليس ما يُروى من أحداث، بل المهم هو طريقة الراوي في اطلعنا عليها، وإذا كانت جميع القصص تتشابه في رواية القصة الأساسية، فإنها تختلف، بل تصبح كل وجبة فريدة من نوعها على مستوى السرد، أي طريقة نقل القصة "وعليه مفهوم السرد حسب تودوروف ارتبط بالطريقة التي يتبعها الراوي في نقل الأحداث المروية التي يتلقاها القارئ بعد ذلك من جهة، ومقابلته للسرد بالخطاب من حيث هو خطاب حقيقي يوجهه الراوي إلى القارئ من جهة أخرى.

أما رولان بارت فقد سعى إلى صياغة بديلة تحرر المصطلح من المعنى السابق، انطلاقاً من إسهاماته الريادية في تحليل المحكي، حيث يحمل السرد على عاتق اللغة المنطوقه شفوية كانت أو مكتوبة، ودراستها من خلال حضورها في ((الأسطورة، والخرافة، وحكايات الحيوانات، والحكاية، والأقصوصة والملحمة، والتاريخ، والتراجيديا، والمأساة، والكوميديا والمسرح الإيمائي، والصورة والملونة، وإنها لحاضرة أيضاً في كل واجهة عرض زجاجية، وفي السينما، وفي المنوعات، وفي المحادثة))، وعليه فبارث يرى أن مفهوم السرد هو نفسه مفهوم القصة، ونجده من ناحية ثانية يرادف بين مفهومي الخطاب والسرد، حيث يعد الخطاب نظاماً من الجمل المترابطة، والسرد جملة كبيرة" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 26). إن مفهوم السرد في الدراسات النقدية الحديثة قد اختلفت تعريفاته من ناقد لآخر، بل سنجد ((يتخذ شكلاً مختلفاً من حيث التوصيف، باعتبار أن المنظور اللغوي يقوم بوصفه من الخارج، أما المنظور النقدي فيصفه من الداخل. والسرد - طبقاً للمنظور الأخير - هو المادة المحكية بمكوناتها الداخلية من الحدث والشخص والزمكان)) (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 25). وهناك من الدارسين من تمادى بمفهوم السرد إلى مناحي بعيدة جداً، فعَدُوا المؤرّخ ساردا ووسّعوا دائرته لتشمل السينما والصور واللوحات وغير ذلك، لكن من بين أهم الاتجاهات الغالبة في دراسة مصطلح "السرد" والتي حاولت للممة هذا التشظّي هما اتجاهان، الأول سار عليه فلاديمير بروب وكلود بريمون والجيرداس غريماس في دراسة السرد ضمن نطاق تتابع الأحداث ودلالاتها. والثاني سار مع منهج تودوروف وبارث وجينيت في دراسة السرد أو الخطاب السردية ومكوناته" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 26).

فلقد تمثلت جهود كل من تودوروف وبارث في توضيح مصطلح السرد من حيث مفهومه ومكوناته على المستويين النظري والتطبيقي. وتضاف إليها كذلك أعمال جيرار جينيت وإسهاماته في التحليل التقني لمصطلح السرد وذلك عبر مقولاته: الزمن، الصيغة، الصوت.

كما سعى جينيت جاهداً إلى إزالة الغموض والإيهام عن مجموعة من المصطلحات التي تدور في فلك "السرد"، وقد جاءت بعضها وفق تصوره كالتالي:

- أ- مصطلح القصة Histoire المراد به المحتوى السردية أي المدلول.
- ب- مصطلح الحكّي récit الذي خصّ به الملفوظ أو الخطاب أو النص السردية.
- ج- مصطلح السرد Narration الدال على الفعل السردية المنتج (بغداد، صفحة 30).

وعليه: مفهوم مصطلح السرد "شأنه في ذلك شأن العديد من المصطلحات التي لم يهدأ إلى اليوم السؤال عن وظيفتها ومعناها، لأن هذه العملية ليست من الأمور الثابتة، وإنما هي عملية قابلة دائماً للتطوير. ومن ثم فإن أي معنى مرتبط بصدد هذا المصطلح لن يكون خصبا وامتيزا إلا بإسهام أصحابه في إغناء وإثراء مضمون هذا المفهوم، للتأكيد على مساهمة التطور المعرفي على مستويات تخصصاته المتباينة ومساراته المتعددة.

وقد أصبح للسرد أنماط وأنواع عديدة:

- سرد الأحداث events narrative
- سرد بوليفي، تعدد الأصوات polyphonic narrative
- سرد تكراري iterative narration
- السرد الحواري dialogic narrative
- السرد الخالي من أية بؤرة auctorial narrative type
- سرد سابق former narration
- سرد لاحق later narration
- سرد مدرج intercalated narration
- سرد مفصل detailed narration (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 249).

2-2 . علم السرد/ السرديات: Narratology (e) / Narratologie (f)

وأمام ذلك الزخم الهائل من السرد المتنوعة وأشكال الحكيم المختلفة، وجد الباحثون أنفسهم مضطرين إلى التفكير في وضع قواعد وأسس تتحكم وتؤطر مختلف هذه الانجازات، ولتحقيق هذا الطموح اتجهت الجهود إلى البحث في منهج نقدي يسعى الناقد من خلاله إلى ضبط وتحديد وحدات قياس ثابتة، يمكن بواسطتها مقارنة وتصنيف وتحليل مختلف أنواع السرد وقد تمثل هذا في جهود كل من: فلاديمير بروب وتزفيتان تودوروف وجيرار جينيت وغيرهم، والعمل الذي قام به هؤلاء الدارسون وغيرهم كثيرون، هو ما تمخض عنه ما عرف بـ "علم السرد".

ومصطلح narratology المترجم في اللغة العربية بالسرديات أو علم السرد هو منحوت من مقطعين هما: narrate والتي تعني السرد و logy التي تعني علم. وهي كلمة أصلها يوناني تعني الإشارة إلى النظم الفكرية أو عادات التفكير، كما أن لها معنى آخر هو (القانون)، الذي يقابل المنطق بوصفه مبدأ عقلانية داخلية يسود ويسيطر على الأشياء. واللاحقة logy فهي تعني الحد التعريفي

للشيء إذ يشترط للعلم حد واضح لفضح خصائص مكوناته وقواعده، وهذه اللاحقة قد ارتبطت عند الإغريق بالإدراك والفهم (الخفاجي، 2012، صفحة 25). ويرجع بعض النقاد نشأة هذا المصطلح إلى البلغاري تزفيتان تدوروف "حيث اقترحه سنة 1969 لتسمية علم لم يوجد وقتها هو علم الحكى la science de récit (وغليسي، 2000، صفحة 17).

تمثل السرديات أو علم السرد narratology ميدانا عاما للمصطلح السردى، وهو علم يدرس جنس السرد وأنواعه وأشكاله وأنماطه غير أن هذا العلم لا تحده منطلقات ومبادئ جامعة ولا تميزه مصطلحات مفتاحية موحدة، يعرف كريستيان انجلت وجان هيرمان بأنه: "الفرع المعرفي الذي يحلل مكونات وميكانيزمات المحكي"، والميكانيزمات تعني آليات وأساليب بناء تصوير المحكي (المسرود)، إذا فعلم السرد يهتم بدراسة وتحليل مكونات وأساليب تصوير المسرود (المحكي)، والذي يضم (الأحداث، والزمن، والشخصيات، والمكان) (الخفاجي، 2012، الصفحات 26-27).

"وعلم السرد narratology ميدان عام يتناول قوانين الأدب القصصي"، ولا زال حديث النشأة نسبيا باعتباره علما قائما بذاته يُعنى بقضايا السرد، وقد عرفه معجم أكسفورد بـ"هو فرع من فروع المعرفة، أو النقد يتعامل مع تركيب (أو بنية) ووظيفة (أو فعالية) السرد، من حيث اتفاهه مع القواعد والرموز الاصطلاحية المقررة" (الخفاجي، 2012، صفحة 23)، ويعرفه برنس بأنه "الطبيعة والشكل والطريقة التي يؤدي بها السرد وظيفته" (الخفاجي، 2012، صفحة 23)، ويظل علم السرد حسب هذه التعاريف ريبب الفكر البنيوي، حيث أن علم السرد قد نعى وترعرع في أحضان الدراسات البنيوية (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 249).

ينقسم علم السرد (السرديات) narratology إلى ثلاثة ميادين فرعية، هي: سرديات الحكاية، سرديات الخطاب، سرديات الدلالة، وإذا ما رُمنا التخصيص قلنا إن السرديات تتضمن عددا من المناهج المنضوية إلى تلك الميادين الفرعية الثلاثة والتي تأتلف جميعها، في مقاربة السرد وتختلف في أسلوب مقارنته. وهو ما يؤدي إلى تعدد المصطلحات وتشعب التصورات في ميدان السرديات عامة، وفي المناهج المنتمية إلى فروعها الثلاثة خاصة، إذ غالبا ما يسود الاختلاف بين علماء السرد في الاصطلاح على تصور جامع مانع لمصطلح معين، وذلك بسبب التمايز القائم في رؤية كل منهج للمكون موضوع الوصف أو التأويل، إن كان حكاية أو خطابا أو دلالة، فثمة بون بين بنيوية بريمون وشعرية تودوروف في جانبها المتوخى مقاربة المضمون السردى في طريقة تحليل حكاية المحكي (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 98).

"ولكن السرديات (علم السرد) ما زالت تواجه تحدياً منهجياً من حيث الموضوع المدروس فيما يعتبر بعض الباحثين مثل "جينيت" أن مجال السرديات هو النص السردى وحده، أي المتحقق بلغة من اللغات الطبيعية، ويرى باحثون آخرون أن السرديات تتناول القصص بشكل عام في فنون السرد اللغوي، الكتابي، الشفهي، وفي فنون أخرى كالسرح والسينما والصور المتحركة" (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 253)، أي أن السرديات مع بداية القرن 21 قد اتسعت كثيراً عما كانت عليه قبل قرن، فقد صارت تشمل أجناساً متعددة من القصص الشفوي والكتابي والتخييلي والمرجعي، واستُغلت مفاهيم السرديات في دراسة السرد في نصوص غير أدبية كالدينية والسياسية والصحافية، وظلت السرديات في تفاعل مثمر مع الأبحاث اللسانية وخاصة منها لسانيات التلفظ، ولسانيات النص أو الخطاب والتداولية" (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 249).

"ويسعى علم السرد أو السرديات، إلى استخلاص القوانين العامة التي تصدق على الظاهرة السردية أياً كانت لغتها" (برنس، 2003، صفحة 05)، وبعبارة أخرى فإن هذا العلم يحاول إمارة اللثام عن القواعد العامة الكامنة خلف أي عملية سردية والمولدة لكافة أشكالها، والهدف الرئيسي لهذا العلم هو دراسة طبيعة وشكل ووظيفة وماهية السرد، باستخراج الميكانيزمات الداخلية للأجناس الأدبية (الشعرية والروائية)، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها. فهي تتحرى عن المكونات السردية للخطاب من راو ومروي ومروي له. ويحاول هذا العلم الإحاطة بكل جوانب الظاهرة السردية (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 157)، ولذا يأخذ هذا المصطلح صبغة العمومية والشمولية، على عكس المصطلحات الأخرى المتاخمة له.

من أبرز المنظرين للسردية - كـمجال مفاهيمي - في المدرسة الشكلية الروسية فلاديمير بروب فلقد أحدث كتابه الموسوم: "مورفولوجيا الحكاية الخرافية الروسية"، وهو عمل تطبيقي جمع فيه مائة حكاية روسية ودرسها دراسة وصفية واستخلص من هذه الحكايات ما سماه "بالنموذج الوظائفى"، حيث استنتج بروب أن في هذه عناصر ثابتة وأخرى متحولة والثابتة هي الوظائف "أما العناصر المتحركة فهي" الشخصوس وصفاتها وأسمائها" (ابراهيم، 2005، صفحة 08).

كما عمل جيرار جينيت Gerard Genette في المجال التطبيقي للسردية، حيث سعى إلى إيجاد أدوات منهجية تعين على دراسة المادة المسرودة، من خلال تقديم تعريفات دقيقة لها، وتعد

أبحاث جينيت من أهم ما قُدم، فقد استطاع مع مجهودات البنيويين عامة بلورة نظرية شكلانية للسرد، وذلك عن طريق: "استخراج كل العناصر البنيوية المكونة للسرد، عبر مختلف العصور انطلاقاً من ملحمة هوميروس (الإلياذة والأوديسا)، مروراً بالحكايات الشعبية والرواية الكلاسيكية والواقعية، وصولاً إلى الروايات الحديثة". ومن خلال مقولته الشهيرة "حدود السرد" حاول جينيت إيضاح حدود اشتغال السرد داخل الخطاب السردية في حد ذاته مستعرضاً إياها عبر جملة من المفاهيم المساعدة، وقدم أفكاره في هذه المقولة ضمن ثلاث ثنائيات: السرد والخطاب/السرد والوصف/السرد والمحاكاة (خمري، 2002، صفحة 78).

لقد تكون لكل ناقد غربي معجم سردي خاص به، فغريماس لديه معجم خاص باصطلاحاته، وبارث وتودوروف وجينيت وغيرهم. فأين (علم السرد) من كل هذه الاصطلاحات المتصارعة؟ والسبب الرئيسي في ذلك هو عدم اكتمال معالم السرد وبقائه مجرد مجموعة من الرؤى والاتجاهات المتنوعة في دراسة السرد، حتى أن والاس مارتن يسمي كتابه (نظريات السرد الحديثة) وليس (علم السرد) لأن من شرط العلم توحد قواعده واصطلاحاته، مثلما نقول (علم النحو) ونقصد به تلك القواعد والاصطلاحات التي تعين الباحث في دراسة الكلام العربي اعراباً وبناءً، ومادام narratology لا يتمتع بهذه الصفة فهو اتجاهات وطرائق للبحث في النصوص السردية (الخفاجي، 2012، صفحة 20).

وعلم السرد يسمى أحياناً "نحو السرد" Narra-tive Grammer بعبارة أدق فإن مصطلحي "علم السرد" narratology، و"نحو السرد" narrative grammer يكادان يترادفان، والإشكالية هنا ليست حبيسة التسمية فحسب، بل حتى في الخلط بين المجالين، فالأول يختص بالقواعد العامة للعملية السردية، بينما الثاني يختص بالإطار النحوي للظاهرة السردية" (برنس، 2003، صفحة 255). ولقد اقترح inwe مصطلح narrativics كمرادف لعلم السرد، ولكن هذا المصطلح لم يكتب له الذبوع، وبعض الدارسين يفرقون بينه وبين narratology على أساس أن الأول يطور نماذج نحوية تعتبر أساساً (لبنية السرد)، والأخير يستخدم هذه النماذج النحوية لدراسة أنواع معينة من "السرد".

كثيراً ما كان يرد مصطلح "السرد" و"السرديات" كمفهوم واحد في الاصطلاح الحديث، حيث عرف "جيرالد برنس" مصطلح السرد Narrating / Narration بأنه هو الذي يهتم بشؤون الحكى وكل ما يمت إليه بصلة (الراوي، المروي له، الرواية... الخ)، ومن كلام برنس نلاحظ أنه

جعل السرد والسرديات وجهان لعملة واحدة، بينما هما في الحقيقة يختلفان اختلافا شاسعا فالسرد يمثل العملية الابداعية، أما السردية فهي البحث في تلك العملية الإبداعية، غير أن "السرديات" سرعان ما تجاوزت حدود المفاهيم النظرية لتصبح علما قائما بذاته هو ما أصبح يطلق عليه "علم السرد"، غير أن مصطلح "السرد" و"السرديات" لم تأخذ بعدهما الاصطلاحي المعروف بين الباحثين والدارسين إلا في حدود سنة 1969 على يد الناقد المشهور تودوروف، حيث أخذ السرد صبغة الإبداع بينما السردية هي البحث في هذا الإبداع (المكتبة الأدبية، د.ت).

3.2. السردية: (narrativité (f) / narrativity (e)

وبتطور الأبحاث والدراسات السردية، شاع مصطلح آخر هو "السردية" narrativité وأول من استخدم مصطلح narrativité هو تودوروف للدلالة على ما به يكون الخطاب سردا (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 254)، وقد تبعه في استعماله بارث وجينيت ومن تابعهم حصرا" (الخفاجي، 2012، صفحة 56).

وقد أُطلق مصطلح (السردية) على تلك الخاصة التي تخص نموذجا من الخطابات، ومن خلالها نميز بين الخطابات السردية والخطابات غير السردية، وقد ظهر هذا المصطلح - بعد مصطلح (السرديات) - بالتدرج كقاعدة لتنظيم كل خطاب سردي وغير سردي (بن مالك، 2012، صفحة 121).

وبعد ذلك أصبح كل مصطلح من المصطلحين - السردية، السرديات - يحيل على اتجاه خاص في عملية التحليل: أحدهما موضوعاتي بالمعنى الواسع (هو تحليل القصة أو المضامين السردية) والآخر (هو شكلي بل تنميطي) (هو تحليل الحكاية بصفتهما نمط "تمثيل" للقصص في مقابل الأنماط غير السردية كالنمط المسرحي وبعض الأنماط الأخرى خارج الأدب على الأرجح) وقد اصطلح على الاتجاه الأول الذي ارتبط بمصطلح (السرديات) بـ"سيميايات الخطاب السردية، السرديات البنيوية، السرديات... الخ أما الاتجاه الثاني الذي ارتبط بمصطلح "السردية" فقد اصطلح عليه بـ"السيمياية السردية".

أفضت الدراسات السردية إلى انبثاق مدرستين رئيسيتين في السردية، أولهما: السردية الدلالية والتي تهتم بمضمون الأفعال السردية دون اهتمام بالسرد، ويمثل هذه المدرسة السردية الدلالية: فلاديمير بروب، كلود بريمون، ألخيرداس جوليان غريماس. ثانيهما: السردية اللسانية التي

تهتم بالمظاهر اللغوية للخطاب السردى (ابراهيم، 2005، صفحة 08)، وما يندرج عنه من مؤلفين، وأساليب سرد ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمتن الحكائي، ويمثل هذه المدرسة: رولان بارت، و تزفيتان تودوروف وجيرار جينيت.

3- التفاعل النقدي العربي مع المصطلح السردى:

بظهور الانفتاح على المناهج النقدية الحداثية في الساحة النقدية العربية، أصبحت السرديات تشكل محورا هاما من محاور الجدل الثقافي في الوطن العربي بمشرقه ومغربه، فقد حاول لفيف من النقاد الحداثيين تقريب علم السرد الحديث بمفاهيمه وبمصطلحاته إلى المتلقي العربي، وقد اختلفت سبل هذا التقريب بين النقل والترجمة والنحت وحتى إلى درجة من التحريف الأعمى في أحيان كثيرة.

وبالنظر إلى السرديات كمنهج نقدي لمقاربة النصوص، نجدها حديثة عهد في النقد العربي، إذ أنها لم تظهر إلا في الثمانينيات من القرن العشرين، وهو ظهور متأخر إذا ما قورنت بتطبيقها في النقد الغربي والذي كان في بداية الخمسينيات من نفس القرن، فلم تُعرف السرديات كمنهج نقدي لمقاربة النصوص إلا بعد الترجمات العديدة لمؤلف فلاديمير بروب "مورفولوجيا الحكاية الشعبية" (وغليسي، 2000، صفحة 17) وتعدّ ترجمة إبراهيم الخطيب سنة 1986 أهمها، وهو ما يعتبره بعض النقاد البداية الفعلية للاهتمام بالسرديات في الدرس النقدي العربي (الرقيق، 1998، صفحة 31).

فإلى جانب جهود علماء السرد العرب المؤسسين، مثل إبراهيم الخطيب وجميل شاعر وسمير المرزوقي وعبد الحميد بورايو ورشيد بن مالك وسعيد بنكراد وسعيد يقطين وعبد الله ابراهيم ومنذر عياشي، ظهرت أقلام علمية أخرى أولت اهتماما خاصا بميدان السرديات، بحثا وترجمة، كالصادق قسومة ومحمد نجيب العمامي وعبد اللطيف محفوظ وجمال حضري وعدنان محمود محمد... الخ (بورايو و وآخرون، 2018، صفحة 104).

ومغاريا بالتحديد، فلقد استطاع رواد النقد الأدبي في بلاد المغرب العربي (الجزائر والمغرب وتونس)، العرض للمنجز الغربي في ميدان السرد، "حيث استطاعت دراسات كل من حسين الواد ومحمد بن صالح بن عمر والرشيد الغزي ومحمود طرشونة وعلي العثي وراضية كبير وعبد السلام ومحمد رشيد ثابت اختراق وكسر حاجز البحث النقدي الكلاسيكي في ميدان

القصة والرواية" (الخفاجي، 2012، صفحة 52)، غير أن هذه المحاولات رغم أهميتها إلا أنها لم تخلو من التعثر الاصطلاحي، فقد تأرجحت إسهاماتهم ما بين الخلط والترادف في المصطلحات.

إن الرؤية العربية قد غابت البعد العلمي الموجود في السرديات، افتقار الدراسات والترجمات والقواميس العربية إلى وعي علمي ملمّ بالسرديات علما وموضوعا ومبادئ وفروعا وأعلاما ومناهج أو نظريات ومنهجيات أو تطبيقات ومصطلحات (دوالا أو أشكالا وتصورات أو مفاهيم)، ذلك أن الممارسة العربية في ميدان السرديات، قد اتسمت بالشغف المؤقت بالمناهج الجديدة، حيث مضى الدارسون والمترجمون وواضعو القواميس يتنقلون، بمعنى يُراوون ويتجولون، بين سرديات الحكاية وسرديات الخطاب وسرديات الدلالة، محاولين مواكبة ذلك السيل العارم من المصطلحات السردية، حتى غاب الاختصاص أو كاد، وتراكمت الأعمال بل تكدّست، وأصاب المصطلحات، بوصفها مفاتيح السرديات، ما أصاب من حرفية وتشويه واضطراب انعكست سلبا على المهتم بالسرد ذاته.

ومع ذلك كله انصرفت بعض الأعمال، من دراسات وترجمات وقواميس، إلى التخصص في ميدان السرديات، "مثلما فعل الدكتور رشيد بن مالك الذي يعد من النقاد والمترجمين والمتخصصين الذين تصدوا لشرح نظرية غريماس في الخطاب السردية وتبسيط مصطلحاتها وتطبيقها على النصوص السردية العربية" (القاضي وآخرون، 2010، صفحة 36) بغية تقريب مفاهيمها ومصطلحاتها للقارئ العربي.

فنظرية السرديات وكغيرها من النظريات والمناهج، لم تسلم من الفوضى المصطلحية، وهي فوضى شملت التصورات والمفاهيم والأشكال والقوالب والصيغ، لأن الدارسين العرب قد استقبلوا تلك المصطلحات بطرق مختلفة بين نقل وترجمة واستهلاك دونما وعي نقدي، ودونما التزام بميدان يؤطر المصطلح ولا تصور يضبطه ولا تعريف يحدده. كما أن البحث في المصطلح السردية في الوطن العربي هو رهين أشخاص معينين، تتفاوت ثقافتهم الواحدة عن الأخرى، فنجد مثلا أن اصطلاحات نقدة المغرب العربي تمتع من بئر الثقافة الفرنسية، بينما نجد الحال مختلفا عن نقدة المشرق العربي الذين ينهلون من جب الانجليزية وما بين الفرنسية والانجليزية بون شاسع" (الخفاجي، 2012، صفحة 54).

ولعل من مشاكل اضطراب المصطلح السردية في النقد الأدبي العربي المعاصر ما يلي:

فلقد ألفينا مثلا أن المشتغلين العرب بالسرد يعرّبون مصطلح (Narratology) إلى السرديات وحكايات وعلم السرد وعلم الحكاية وعلم القص ونظرية السرد والسردولوجية والسردية وغيرها، بل وجدنا أن بعضهم يتململ في معادلة المصطلح السردى الأجنبي بمصطلح عربي واحد، حيث يستعمل السيد إمام ثلاثة مصطلحات مرة واحدة موحيا بعدم قدرته على اختيار مصطلح واحد يسعف على التعبير عن تصور مصطلح narratologie في اللغة الفرنسية أو narratology في اللغة الإنجليزية، إذ يلجأ إلى تعزيز المصطلح الأول الذي يصطفيه مقابلا للمصطلح السردى الأجنبي بمصطلحين آخرين على سبيل التوضيح الذي يبده اللبس والتأكيد الذي يزيل الشك، حسب هذا المنوال: السرديات (نظرية السرد / علم السرد). ولو التفت المترجم إلى تصور المصطلح وقلب النظر فيه، وهو الذي لم يعمل سوى على نقل ما صاغه جيرالد برنس من تعريف للمصطلح، لكفاه الاضطراب في ترجمته، ولاستقر على مصطلح السرديات أو علم السرد، بوصفهما معادلين متداولين لمصطلح narratologie (يقطين، 1997، صفحة 22)، والغريب في الأمر أن المصطلح واحد ولا يحتاج إلى كل تلك التعريبات، "وهذا ما جعل الدكتور علي جواد الطاهر يسخر ويمزأ بكل هذه المسميات متندرا عليها وواصفا لهذا الخليط ب (الملخيات والسرجيات)" (الخفاجي، 2012، صفحة 55).

ويعد مصطلح (narratology) من أبرز المصطلحات التي ظهر حولها جدل كبير من طرف الباحثين والدارسين العرب، وقد تعدى هذا الخلط حدود المصطلح إلى الخلط بين الاتجاهات، فالكثير من النقاد جعلوا (السرديات) و(السردية) شيئا واحدا، وهو ذا عكس الواقع (الاتجاه الأول يمثل جينيت وتودوروف والاتجاه الثاني يمثل غريماس)، حيث أن هذين الاتجاهين قد شكلا لبسا في الدراسات العربية، التي كثيرا توظف المنهجين في الدراسة الواحدة دون مراعاة للفروق بينهما.

وما تجدر الإشارة إليه أن اللبس والخلط بين هذين المفهومين بلغ أوجه في الدراسات العربية التي كثيرا ما توظف المنهجين في الدراسة الواحدة دونما مراعاة للفروق بينهما، ورغم ذلك فلقد ظهرت زمرة من النقاد العرب الذين أبدوا وعيا نقديا في التعامل مع المصطلحين ومفهوم كل منهما دونما خلط أو عشوائية، ومن أبرز هؤلاء النقاد الناقد المغربي سعيد يقطين الذي استقر على مصطلح (السرديات) معتبرا إياه الاختصاص الذي ينطلق منه في معالجة السرد العربي يقول: "إن السرديات هي الاختصاص الذي انطلق منه في معالجة السرد العربي"، وقد عدّ هذا

الاختصاص فرعا من علم كبير هو البويطيقا، ويتضح ذلك من خلال قوله: "تندرج السرديات باعتبارها اختصاصا جزئيا يهتم بـ (أدبية) الخطاب الأدبي بوجه عام وهي بذلك تقترن بـ (الشعريات) التي تبحث في (شعرية) الخطاب الشعري.

بينما يرى كذلك أن مصطلح *narrativité* المترجم بـ (السردية) من جذر (س ر د) في العربية و *narration* في الفرنسية هو مصطلح يستعمل في إطار مجالين سرديين مختلفين، فيقترح للمصطلح مقابلين مختلفين ويوظف كل منهما حسب السياق الذي يوجد فيه على النحو التالي:

1. *Narrative* السردية: عندما تكون في إطار السرديات ويتم ربطها بمختلف المصطلحات التي لها علاقة بها مثل: الصوت السردى، الرؤية السردية.

2. *Narrative* الحكائية: عندما تكون في مجال "السيميوطيقا" وتنعت بها كل الكلمات التي ترتبط بها مثل: البرنامج الحكائي، المسار الحكائي، سيميوطيقا الحكى... الخ (دباش، 2012، صفحة 65).

ومن خلال كلام سعيد يقطين نفهم أن تماثل المصطلحات لا يعني التماثل الدلالي، فكل مصطلح ودلالته وخصوصيته التي يكتسبها من خلال السياق النظري الذي يوظف فيه.

ويستعمل عبد اللطيف زيتوني متذبذبا هو الآخر، ثلاثة مكافئات لذلك المصطلح السردى الأجنبي، مقدما هذه المرة مصطلح السردية على مصطلحي السرديات وعلم السرد اللذين يذكرهما في طيات تعريفه للتصور المبني على إدراكه لمفهوم المصطلح في اللغة - المصدر، حيث يقول: "السردية أو السرديات، ربما كان المصطلح الأول أفضل تعبيرا لأن السردية لا تعني علم نوع واحد من أنواع السرد، بل علم السرد بما هو مختلف عن سواه (كالمسرحية والقصيدة)، وبما هو مؤتلف فيه مطردٌ في بناء نصوصه، السردية أو علم السرد علم تتحول السردية به إلى علم بالمعنى الصحيح، بسبب الاختلاف في تحديد طبيعة النص السردى من جهة، وتعدد نظريات سردية متعددة ومختلفة في الموضوع والمنهج، ولكن التيارين الرئيسيين المعاصرين المتنافسين في السردية هما: الشعرية السردية والسيميائية السردية" (زيتوني، 2002، صفحة 108).

ولقد كان مصطلح (السرديات) هو الشائع بين الاستعمالات الأخرى حيث وظفه الكثير من النقاد وعلى رأسهم: حميد لحميداني وسعيد يقطين - كما أسلفنا سابقا- وراكن أحمد ومحمد معتصم وفاضل ثامر وباقر جاسم، حيث صيغت لفظة (السرديات) قياسا على الرياضيات واللغويات والطبيعيات وغيرها من العلوم.

كما عرف المصطلح نفسه ترجمات أخرى منها الشاذة والبعيدة كل البعد عن مفهومه المقصود، مثل (نظرية القصة) وهي ترجمة كل من جميل شاكر وسمير المرزوقي، وهي ترجمة يراها الباحث كريم الخفاجي بأنها غير مقبولة لأن المصطلح منحوت من كلمتين هما (علم+السرد) وليس فيه أي دلالة على كلمة (القصة) أو معنى القصة، وكذلك لفظة (نظرية)، لا توجد فيه أبداً. "بينما فضل الدكتور علي جواد الطاهر لفظة (القصصية) حيث قدّم مسوغاً لهذه الترجمة بقوله الفعل يعني القص *narrat*" (الخفاجي، 2012، صفحة 59) بينما الذي توصل إليه البحث أن (السرد) لا يدل في المفهوم الغربي على القصّ فقط، بل يشتمل على العملية السردية كلها (سارد، مسرود، مسرود إليه) ويحلل هذه العناصر كلها (الخفاجي، 2012، صفحة 62).

بينما نجد من النقاد العرب من يرفض هذا الخلط في تحديد المصطلح المناسب، "فهذا مثلاً الدكتور عبد الإله أحمد وهو في معرض ردّه على مقال فاضل ثامر (من يخاف السردية؟) بقوله: "إن الأستاذ فاضل ثامر يطلق على هذا الحقل النقدي المسميات الآتية (السرديات) (علم السرد) (السردية) من دون أن يحدد أي المصطلحات الثلاثة أدق في الدلالة عليه، فهل يعني ذلك أنها تدل على الشيء ذاته؟ وهذا ما تنفيه الدراسات الغربية التي أثبتت أن السردية شيء والسرديات شيء آخر. وهذا الاضطراب ناجم إما عن التصرف المخل بمعنى المصطلح عند تعريبه، أو عن التعريب بالمعنى تعريباً يتوخى ترجمة المصطلح مباشرة إلى العربية (الخفاجي، 2012، صفحة 56).

كما أن مصطلح *narration/narrative* المعرب بـ "السرد"، وقد استعمل النقاد العرب أكثر من مرادف لهذا المصطلح في كتاباتهم النقدية، فمنهم من استعمل القصّ والثاني الحكّي وثالث الأخبار ورابع الرواية. فضلاً عن شيوع مصطلح *Récit* في المعرفة الاصطلاحية، الذي يستدل به على معنى الحكّي، والمحكّي لدى بعض النقاد، ومعنى السرد والمسود لدى آخرين، حيث فهم منه مرة على أنه تتابع الأحداث في القصة، ومرة هي طرائق عرض تتابع الأحداث ومرة الأحداث المسرودة من السارد وهكذا دواليك. وإن كنا نستحسن مصطلح "السرد" على غرار الطروحات الأخرى بالنظر إلى معيار الشيوع في الثقافة العربية" (بورايو وآخرون، 2018، صفحة 24).

أما المصطلح *narrativité* بالفرنسية و *narrativity* بالانجليزية، والذي ترجم إلى العربية بـ "السردية"، فنجد السيد إمام يسميه تارة (السردية) وتارة أخرى (الساردية) بينما يدعوه عابد خزندار بـ (الخصائص السردية).

ويرجع هذا التعدد المصطلحي إلى أسباب عديدة، أبرزها النقل المتسرع بلا مراعاة للضوابط المصطلحية، ومن الأشكال العديدة للتعدد المصطلحي والفوضى التي عرفها المصطلح السردي في الدراسات العربية المعاصرة نجد مثلا:

سردية: narratologie - narrativité

قصة: récit - histoire - nouvelle

حكاية: récit - histoire - conte

فاعل: agent - actant – sujet

أما من أمثلة اشتراك المرادفات للمصطلح الواحد:

Narration: سرد - حكي - رواية - قص.

Narrateur: سارد - راوي.

Récit: سرد - حكي - مسرود - قصة - حكاية.

Action: فعل - عمل - حدث (بورايو وآخرون، 2018، الصفحات 106-107).

فلقد توضح من بعض الدراسات المتخصصة أن لدينا أكثر من ألف مصطلح خاص بالقصة والرواية ويعلم السرد عموما، وأن ما سمي بالصحة القصصية التي حدثت في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من هذا القرن قد عبرت عن نفسها بانفجار مصطلحي ومفهومي رهيب" (الخفاجي، 2012، صفحة 54)، والأكثر غرابة في الأمر أن معظم هذه المصطلحات هي غريبة على الساحة العربية، وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد رشاد الحمزاوي بقوله: "أن كل هذه المصطلحات السردية لا تمت إلى العربية بصلة، لأن الساحة العربية خالية منها، فهي ترجمات كلها "مما كان مدعاة لتوافر أنواعها ومترادفاتهما وتضارب تلك المترادفات، ولذا اتسمت هذه المصطلحات بالغموض والسطحية، والخطأ الناتج عن سوء إدراك مفاهيمها، كما إن ما توافر لنا من كمية هذه المصطلحات يحتاج إلى نصف قرن لفرز ألياتها الفنية" (الخفاجي، 2012، صفحة 55).

4-خاتمة:

إن مصطلحات مثل: السرد récit والحكي narration، والسردية أو الحكائية narrativité، وعلم السرد والسرديات Narratologie... وغيرها، من المصطلحات، قد حدث فيها الكثير من اللبس

والغموض والتداخل والتشابه اللفظي، على مستوى الساحتين الغربية أو العربية، وذلك عائد إلى أسباب عديدة ومختلفة، يرجع بعضها إلى علم السرد في حد ذاته حيث يعرف هذا العلم تطوراً رهيباً في الدراسات المعاصرة، وتعود بعض الأسباب كذلك إلى الاجتهادات الفردية للباحثين دون تنسيق فيما بينهم والوضع المصطلحي العشوائي وغير المنظم، والترجمة غير الدقيقة للمصطلحات الغربية الوافدة، وأيضاً محاولة بعض النقاد إقحام المصطلح التراثي ليبدل على مدلولات حديثة بعيدة عنه كل البعد، وغيرها من الأسباب التي جعلت المتلقي يتعد كل البعد عن علم السرد بدل أن تقربه منه، ومع هذا كله "إن المصطلح الخاص بعلم السرد قد ظل مهيمناً على الرغم من عدم استقرار مفاهيمه من ناحية، وعدم توحيد ترجماته من ناحية ثانية" (الخفاجي، 2012، صفحة 53).

وفي الأخير قد توصل البحث إلى مجموعة من الحلول والتوصيات، التي نرجو منها أن تكون حلولاً للإشكاليات التي يتخبط فيها المصطلح النقدي الوافد وبالخصوص المصطلح السردية منه، وهي كالتالي:

- 1- تعيين هيئة متخصصة في ترجمة المصطلح النقدي عموماً والسردية خصوصاً لترجمة ومتابعة وتقييم المصطلحات النقدية الوافدة من الغرب.
- 2- وضع مصطلح واحد ذي المضمون الواحد متفق عليه وتجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد.
- 3- وضع قواميس للمصطلحات السردية مقسّمة حسب الاتجاهات السردية المعروفة عند الغرب مثلاً: (قاموس السرديات عند غريماس)... الخ، وهذا حتى يتسنى للدارس العربي التفريق بين الاتجاهات السردية ومصطلحاتها.
- 4- استقراء وإحياء التراث المصطلحي النقدي السردية العربي واستغلاله بدل مصطلحات الأخر.
- 5- اشتراك المختصين في علم المصطلح والمستهلكين في وضع المصطلح.
- 6- إعادة رسكلة وضبط الرصيد المصطلحي المترجم وجمعه وتنظيمه واختيار المصطلح الأقرب من نظيره الغربي.
- 7- وضع بنك خاص فقط بالمصطلحات المترجمة الجديدة حتى نضمن لها المراقبة والمتابعة.

المصادر والمراجع:

- بارث رولان (1993)، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة: منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، ط1.
- برنس جيرالد (2003)، المصطلح السردي معجم مصطلحات، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1.
- بغداد عبد الرحمان (2012)، مصطلح السرد - المفهوم و المكونات تجربة جيرار جينيت نموذجا، المركز الجامعي مغنية، الجزائر.
- بن مالك رشيد (2012)، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1.
- بوجملين مصطفى (2016)، التعريف التشبيهي بالمصطلح السردي في المدونة النقدية ل عبد الملك مرتاض، نتائج الفكر، منشورات معهد الآداب واللغات المركز الجامعي صالحى أحمد بالنعامة،(النعامة)(الجزائر)، العدد الأول، رمضان 1437.
- بورايو عبد الحميد وآخرون (2018)، السرديات والترجمة العربية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1.
- تودوروف تزيفيتان (1990)، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- الخفاجي أحمد رحيم كريم (2012)، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار صفاء للطبع والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ.
- خمري حسين (2002)، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.
- دباش زهيرة (2012)، الدرس السردي والخطاب النقدي العربي المعاصر مقارنة تحليلية في نموذج سعيد يقطين، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

- الرقيق عبد الوهاب (1998)، في السرد دراسة تطبيقية، دار محمد علي الحامي، صفاقص، تونس، ط1.
- زيتوني عبد اللطيف (2002)، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي، انجليزي، فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، ط1.
- عبد الله إبراهيم (2005)، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.
- القاضي محمد وآخرون (2010)، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفرايب، لبنان، ط1.
- المكتبة الأدبية، السرد القديم، نقلا عن الموقع: <https://maktabaadaabia.wordpress.com>
- وجليسي يوسف (2000)، السرد والسرديات، قراءة اصطلاحية، مجلة السرديات، العدد 1.
- يقطين سعيد (1997)، "الكلام و الخبر" مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1.